تاريخ الإسلام
فى غرب إفريقيا



رواد
ومغامرون يستكشفون

دول
تتنافس على تجارة الرقيق

قوى
وقراصنة تنهب الثروات

زعماء
يبيعون مواطنيهم من أجل المال

صراع
قبلى وثنى إسلامى
على أرض إفريقيا

تأليف **روسيل وورين هاو**

ترجمة **د. عبد الوهاب محمد الزنتاني**
الحائز على جائزة ابن سينا فى الأدب من أجل السلام

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

Preview sample - page 1 of 8 - Soran University Academic Digital Library

تاريخ الإســـلام

فى غرب إفريقيا

٢٦٥٩٦

رواد ومغامرون يستكشفون
دول تتنافس على تجارة الرقيق
قوى وقراصنة تنهب الثروات
زعماء يبيعون مواطنيهم من أجل المال
صراع قبلى وثنى إسلامى مسيحى على أرض إفريقيا

٩٦٦
ع ٢ ب

تأليف / روسيل وورين هاو
ترجمة / د. عبدالوهاب محمد الزنتانى
الحائز على جائزة ابن سينا
في الأدب من أجل السلام

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

Preview sample - page 2 of 8 - Soran University Academic Digital Library

موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهـــداء	٥
مقدمة المترجم	٩
مقدمة المؤلف	١١
الفصل الأول	
رمال وسيوف - عصر الإمبراطوريات الإفريقية	١٧
الفصل الثانى	
البونت وزنجيبار	٢٧
الفصل الثالث	
عرب وبربر وزنوج - المرابطون	٣٩
الفصل الرابع	
ممالك غرب السودان القديمة	٦٣
الفصل الخامس	
عصر التجارة والاستكشاف سفينة وشاطئ	١٠٧
الفصل السادس	
الممالك الغـينية	١٣٥
الفصل السابع	
صناع الخرائـط وتحديد الأهداف	١٤١
الفصل الثامن	
إلغاء سيراليون وليبيريا	١٦١
الفصل التاسع	
غرب إفريقيا البريطانيـة ما قبل الاستعمار	١٧٩

Preview sample - page 3 of 8 - Soran University Academic Digital Library

الموضوع الصفحة

الفصل العاشر

مبادرات الألمان والفرنسيون ١٩٩

الفصل الحادى عشر

دلتا النيجر مقدمة إلى نيجيريا ٢١٥

الفصل الثانى عشر

البرتغال وإفريقيا الأطلنطية ٢٤٣

الفصل الثالث عشر

شرق إفريقيا (الزانجا - الأزانيا - والبرتغاليون) ٢٥٥

الفصل الرابع عشر

زانجيبار واستكشاف مدار الجدى فى إفريقيا ٢٦٥

- إثيوبيا ٢٧٩
- مدغشقر ٢٩٣
- جنوب إفريقيا ٢٩٩



Preview sample - page 4 of 8 - Soran University Academic Digital Library

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب الـذى يتكون من أربعة أقسـام وعندما طبع صـار يتألف من قـسمين يقصد منه أن يكـون تقديم تاريخى لإفريقيا السـوداء، وهو خلفية لأخبـار ومعلومات تأتى من أربعة أخماس القارة التى تقع جنوب الصحراء العظمى ومحيط الرمال.

ففى خـلال السنوات الحالية كـانت هناك أعداد كبيـرة من الكتب عن إفريقيـا، وكان هنالك بشكل خـاص مـحاولات جـادة لضم تاريخ مـتناثر بحـيث يكون واحدا وهو أمـر صعب بسبب الانتـشار الواسع، وفى ماضى الأمم الإفريقية التى تسـتطيع القراءة والكتابة تستعمل عموما اللغة العربية وهى أحـيانًا جيدة وفى أخرى تمثل عمل تخمينى ككتاب (و. بوفـيل) المعنون (قوافل الـصحـراء القديمة) الذى نشـر سنة ١٩٣٣م والذى مـثل تاريخيـا أحـداث القرن العـشـرين، وحـدث أن عددا من الدارسين بدءوا بـإعادة قـراءة رواية (ابن بطوطة) وأعمال (البكرى) كذلك كانت كتابات المستشرقين (أوربيون وصينيون) المتصلين بإفريقيا الجنوبيـة والشرقية، ولقد شهدت فـترة الخمسينيات ظهور عـدة أعمال فى الغالب باللغة الإنجليزية وحديثًا جاءت دراسات أخرى فى كتب باللغة الفرنسية، كما وصلت إلينا حديثـا أبحاث أدبيـة عن فترة الاخـتراق الأوربى مـثل قصـائد البحارة الحـماسـية وبعض المسـتكشـفـين وأخـيـرًا الجنود والموظفين الإداريين، وهناك كـتّـاب آخـرون تواصلوا مع المجتـمعات الإفـريقية تلك التى تعـامل معـها التجـار، ولسوء الحظ فإن أغلب القـيودات الإفريقـية خلال القرون المعـاصرة عن قصد أو بلا قـصد كانت منحازة تأخـذ هذا الجانب متجاهلة الآخر كـالإسهامات الأوربية أو تلك الأمور الأهلية فى الثقـافة الإفريقية وتاريخ العالم، وهذا ينطبق على بعض المؤرخين المتأخرين للثقافة الإفريقية الذين كانوا يكتبون فى ظل مناخ فترة التحرير وهؤلاء عادة يرفضون بشكل انفعالى الاختراق الأوربى على اعتبار أنه نوع من التطفل، وهذا تعـامل غـير علمى مع التـاريخ، والواقع أنه مـحاولة لإثبـات أن لإفـريقيـا تاريخ قبل مـجيء الأوربيين، لذلك فـإن بعض الانفـعال والزعم جـعل الماضى الإفريقى قائما على معطيـات مغمورة وغير مصدّقة، معطيات مـشكوك فيها تمثل نوعا من الهجوم على آراء ذات طبيعة عرقية تعود إلى عهد جنكيز خان يقابلها فى المدارس الأخرى

Preview sample - page 5 of 8 - Soran University Academic Digital Library

نقاش انفعالى أيضًا لأسباب سياسية محاولا إثبات أنه ليس لإفريقيا ماضى على الإطلاق، وفى هذا الكتاب شعرت أنه من الواجب لتخليص تاريخ إفريقيا من الأحجاف أن أتجنب أى محاولة للرجوع إلى تلك التعريفات .

وعن قصة إفريقيا خلال الفترة الإمبريالية (موضوع القسم الثانى) هنالك مادة وفيرة نشرت وهى تتناول غالبًا المساحة أو البلاد جاءت فى شكل قصص بعض الرحّالة إضافة إلى كتابات أخرى عن الفلسفة الكونيالية ومعلومات أوفر عن علم الأصول، كذلك فإن تاريخ بعض الحركات الوطنية موثّق نسبيًا بأقلام الكتاب الوطنيين والمراقبين من الخارج وبعض المؤرخين، وفى السنوات الحالية كان هناك تدفق كبير من الكتب والكتابات عن أماكن معينة عديد منها عن إفريقيا السوداء المعاصرة، أو إفريقيا ككل، وتناولت عدة كتب المشاكل الحديثة فى الثارة عن الإفريقية (الأفريكانيزم) وعن الاقتصاد والطب والتطور الاجتماعى.

والسؤال، لماذا هذا الكتاب ذو الأربعة أقسام (والذى ربما يماثل كل الكتب؟) إنه يحاول أن يؤدى عملاً يجمع معا كل تاريخ إفريقيا السوداء القديم والحديث فى عمل عام واحد ومؤلفه يحاول أن يتحاشى الدخول فى الاتجاهات المعاصرة ليكون ناقدا علاجيًا بحيث يعتبر كل جزء من تاريخ إفريقيا، كل تبادل ثقافى أو أى تبدّل صورى أو شكلى كما لو أنه جزء هام من كل، وتاريخ إفريقيا نفسه كما لو أنه مرأى واحد معاصر من ماضى العالم وحاضره، وطالما أن هذه الكتابة موجهة للدبلوماسى وللقارئ المستقل ولرجال الأعمال وللجامعات والمدارس العليا (فى إفريقيا وخارجها) وإلى قراء الكتابات غير الخيالية، فلقد تجاوزت الأسلوب المجهد فى استخدام الملاحظات والاقتطاف الممل من المصادر مع استثناءان :

الأول: كتّاب وكتابات وأعمال القرون الماضية التى تكوّن جزءا من التاريخ الإفريقى، **والثانى:** كتابات بعض الكتّاب الأفارقة المحدثين المتميزين الذين رأيت أنهم يستحقون الذكر.

وأنا مدين بشكر خاص للإسلامى الفرنسى البروفيسور (فينيست مونتيل) من جامعة داكار وهو مصدر معرفى لا يستغنى عنه فيما يتعلق بتاريخ الإمبراطوريات القديمة، وإلى

Preview sample - page 6 of 8 - Soran University Academic Digital Library

الكاتب الإنجليزى الذى سبقت الإشارة إليه (بوفيل) وإلى العلامة الأمريكى الدكتور (جيمس دوفى) لعلمه الواسع فى التاريخ الإفريقى البرتغالى وإلى المؤرخ النيجيرى البروفيسور (ك . أنووكا) عميد جامعة عبدان لملاحظاته الدقيقة البناءة فى تطورات دلتا النيجر، وللكاتب الأسترالى (آلان مورهيد) عن عمله المتعلق بالإمبراطور (ثيودور) وغزو نابير لإثيوبيا، وأخيراً لصديقى (جورج بادمور) من تربنداد الرجل الثائر الذى كانت قيوداته عن عموم إفريقيا رائعة وفريدة، وبعيدا عن الوقت الماضى المتعارف عليه فإن كتب أو مخطوطات (روبرت أندرى) و(روبرت كارنيفين) و (جون رايديل) وكثيرين غيرهم كانت بشكل خاص ذات قيمة فى مادتها الأصلية، ومن أجل اختيار ماذا يمكن التركيز عليه فى النهاية اخترت العديد من المصادر مثل كتاب (بليكنس ديليوس) و(جيدى) و(باربارا هول) و(كابل جونس) وهى مصادر مشابهة لتلك التى أصدرها (بوسمان وكابتن أدامس) خلال العقود الأوائل والتى كانت قيّمة من حيث الإحساس بما كان فى ذلك العهد، ومن الصعب أن تكتب تاريخ مقنع دون الرجوع إلى كثير من المراجع والتسجيلات العربية إذ إن كتابة تاريخ إفريقى لا يتم بالاعتماد على حساب التواريخ وحده كما هى الطريقة فى أغلب التواريخ الأوربية والأمريكية والأسيوية إذ لا يوجد خط محدد مرجعى مثل (الوثيقة العظمى)[1] أو عصر النهضة الأوربية أو الثورة الفرنسية، ويمكن القول: إن استغلال رحلة البحّارة البرتغاليون (كمقارنة بحرية وليست سياسية) بالرحلة الأوربية إلى أمريكا أنها ذات تأثير محدود على السواحل الإفريقية ذلك أنه خلال القرن الثانى عشر نرى بورنو لم تتغير كثيراً عن غانا خلال القرن الحادى عشر، وفى إفريقيا لكل منطقة سوداء ظروفها التى تختلف عن بقية أجزاء القارة فى حين أن الأحداث فى إيطاليا مثلاً تتلاقى مع تلك التى فى فرنسا وتؤثر فى تلك التى فى هولندا أو البرتغال[2] بينما الأحداث فى بريطانيا تتأثر بتلك التى فى إسبانيا أو ألمانيا فى حين أن دلتا النيجر فى تاريخها لا تتأثر بأنجولا أو إثيوبيا

(١) تسمى الوثيقة العظمى أصدرها يوحنا ملك إنجلترا اعترافا بحقوق النبلاء والكنيسة والأحرار سنة ١٢١٥م - المترجم .

(٢) تجدر الملاحظة إلى أن هذا الذى ذكره المؤلف يخالف ما جاء فى جميع الأديان السماوية، فقد جاء فى القرآن الكريم ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (سورة العلق) و﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (سورة التين) و﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله عل كل شيء قدير﴾ (سورة العنكبوت: ٢٠) - المترجم .

Preview sample - page 7 of 8 - Soran University Academic Digital Library

وبالمقابل فإن هذه لا تتأثر بالكاميرون أو السنغال، ولا يوجد تتالى فى حساب التاريخ حتى الزمن الحاضر فى القارة ذلك أن التاريخ السابق لكل بلد أو منطقـة يقوم فيما يشبه الفراغ، ولهذا فـإن الجزء الأول من هذا الكتـاب يتناول إفريقيـا قبل الأوربيين حـيث إن واحدا من اثنين من أحداث التاريخ (الاحتلال) كان واضحًا ولكن الآخر (تقدم الإنسان) كان مرتبطا بانتشار الإسلام، أمـا القسم الثانى من الكتاب فيتناول إفـريقيا قبل الاستعمـار، ولهذا فهو يبدأ بمناطق السـواحل، والقسم الثـالث يتناول فترة الاسـتعمار الـشيء الذى يتطلب إعادة مؤشر البوصلة إلى إفريقيا البرتغالية، وحتى فى سيراليون التى يتناولها القسم الأخير هناك عودة للتاريخ السابق، إن التاريخ الإفريقى يمكن أن يقدم فى عدة آلاف من الصفحات وفى اختيـار ما يسقط ومـا يؤخذ فقد حـاولت أن أبيّن كم كان الدارسون المحدثون أذكـياء فى اسـتخراج الماضى القـديم وهكذا فقد ركّـزت على ما ظهر لى أنه ذو أهـمية (غـانا ومالى وسونغـاى) وهى جميعـا تتماثل وتغيّـر القوى فيهـا يجعل الفرق قليل فى قصـة الإنسان، وهنا تعـاملت مع أهم جزء من التـاريخ القديم فى غـرب السودان وكـيف كانت مـحاولة شنغاى وانتـصار الجـيش الإفريقى الأسود دروسًـا للمسـتقبل الذى حـدد لعدة مـئات من السنين تاريخ السـودان الغـربى، وبالمثل فـقد ألقـيت الضـوء على أحـداث غزو (النابيـر) لإثيوبيـا وهو الذى فتح أبواب هذا البلد للعالم الخـارجى وتلك الحملة فى الحرب العـالمية الأولى لشرق إفريقيا حـيث تقرر جزئيا مصير العالم فى تانجانـيقا، وفى الشاطئ الغربى لم أعلق أهمـية كبـيرة على الحـملة العسكرية بينمـا اعتبـرت بشكل أساسى أهمـية التـجارة وتأثيرها الحضـارى ورأيت أهمية دلتا النيجـر كخط دقيق للامتـداد البريطانى وبدرجة أقل فى السنغـال للانتشـار الفرنسى، وباسـتثنـاء تحليل ملخص للتاثيـر الاسـتعمـارى المحلى المتداخل مع الاستراتيجية الإفريقية وعلاقتة بالمشاكل الأخرى وموضوع الوحدة الإفريقية، ومن هنا فإن الكتاب يتناول أحداث التاريخ الإفريقى ككل وعلاقة القارة بما وفد إليها .

Preview sample - page 8 of 8 - Soran University Academic Digital Library